الفصل العاشر

ظن وأخواتها

ما يفيد اليقين في الخبر من أفعال هذا الباب (تَعَلَّمْ ـ وَجَدَ):

أولا : (تعلَّمْ) بمعنى اعلم ، ذكره الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ...﴾[1] فقال : " العرب تقول : تعلَّم أنّ هذا كذا في معنى اعلم ، قال زهير :

تعلَّم أن شر الناس حيّ ينادى في شعارهم يسار [2]

وقال زهير أيضا :

فقلت تعلم أن للصيد غرة وإلا تضيعها فإنك قاتله [3] " [4]

ثانيا : (وجد)، ذكره في توجيه قوله تعالى :﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾[5] حيث قال: " (خيرا) منصوب مفعول ثان لـ(تجدوه) ، ودخلت (هو) فصلًا ... ولو كان في غير القرآن لجاز (تجدوه هو خير) يرفع بـ(هو) ، لكن النصب أجود في العربية ، ولا يجوز في القرآن غيره " [6] .

ما يفيد الرجحان في الخبر (جعل ـ زعم) :

أولاً : (جعل)

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[7] : " فأما نصب (الجن) فمن

---

(١) الأعراف /١٦٧ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو في ديوانه ص٣٣ ، و(يسار) غلام زهير الذي سباه الحارث ، والشِّعار : علامة القوم في سفرهم ، أراد أن يسارًا صار عيبًا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم ، انظر : شرح شعر زهير لأبي العباس ثعلب ص٢٢٠ ، ومختارات الشعر الجاهلي ص٢٧٩ .

(٣) البيت من الطويل ، في ديوانه ص٦٧ ، وانظر مختارات الشعر الجاهلي ص٢٧٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٧/٢ .

(٥) المزمل /٢٠ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٤/٥ .

(٧) الأنعام /١٠٠ .

وجهين : أحدهما : أن يكون (الجن) مفعولا ، فيكون المعنى : وجعلوا لله الجن شركاء ، ويكون الشركاء مفعولاً ثانيًا ، كما قال : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾[1] ، وجائز أن يكون (الجن) بدلا من (شركاء) أو مفسرا للشركاء " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي﴾[3] : " نصب (هارون) من جهتين : إحداهما أن يكون (اجعل) متعديًا إلى مفعولين ، فيكون المعنى : اجعل هارون أخي وزيرا ، فتنصب (وزيرا) على أنه مفعول ثان ، ويجوز أن يكون (هارون) بدلا من قوله (وزيرا) ويكون المعنى : اجعل لي وزيرا من أهلي ثم أبدل (هارون) من (وزيرا) ، والقول الأول أجود ، و(أخي) نعت لـ(هارون) " [4] .

ثانيًا : (زعم)

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾[5] : " (أنهم) تنوب عن اسم الزعم وخبره " [6] ، ويلحظ هنا أنه عبر عن المفعول الأول بالاسم وعن الثاني بالخبر .

من أفعال اليقين :

(رأى)

ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾[7] أن (يرى) بمعنى يعلم، ثم قال :" والرؤية على ضربين : أحدهما : رأيت : أبصرت ، والآخر : علمت ، كما تقول : رأيت زيدا أخاك وصديقك ، معناه : علمت ، ألا ترى أن المكفوف يقول: رأيت زيدا عاقلا ، فلو كان من رؤية العين لم يجز " [8] .

من أفعال الرجحان :

(ظن)

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ [9] ، وفسره بمعنى يوقنون فقال : " الظن هـهنا في معنى اليقين ، والمعنى : الذين يوقنون

---

(١) الزخرف /١٩ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه٢/٢٧٧.
(٣) طه /٢٩ ، ٣٠ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه٣/٣٥٦.
(٥) النساء /٦٠ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه٢/٦٨.
(٧) النجم /٣٥ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه٥/٧٥.
(٩) البقرة /٤٦ .

بذلك ، ولو كانوا شاكين كانوا ضلالا كافرين ، والظن بمعنى اليقين موجود في اللغة ، قال دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفي مقاتل سراتهم في الفارسي المسرد [1]

ومعناه : أيقنوا ، وقد قال بعض أهل العلم من المتقدمين : إن الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده وإن كان قام في نفسك حقيقته ، وهذا مذهب ، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا ، قال أبو إسحاق : وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله ، رواه عن زيد بن أسلم " [2] .

وتحدث عنه في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [3] فذكر مجيئه بمعنى اتهم حيث قال : " من قرأ (بظنين) فمعناه : ما هو على الغيب بمتهم ، هو الثقة على ما أداه عن الله عز وجل ، يقال : ظننت زيدا ، في معنى : اتهمت زيدا ، ومن قال (بضنين) فمعناه : ما هو على الغيب ببخيل ... " [4] .

والقراءة الأولى فيما ذكره قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، والثانية قراءة باقي السبعة [5] .

من أفعال التصيير :

(اتخذ)

وقد تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا﴾[6] فقال : " (سربا) منصوب على جهتين : على المفعول كقولك : اتخذت زيدا وكيلا ، ويجوز أن يكون مصدرا يدل عليه (اتخذ سبيله) ، فالمعنى : نسيا حوتهما فجعل طريقه في البحر ، ثم بين كيف ذلك ، فكأنه قال : سرب الحوت سربا " [7] .

إطلاق الاسم والخبر على المفعولين في هذا الباب :

تقدم ذلك هنا في توجيه الزجاج لقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ [8] ،

---

(١) البيت من الطويل ، والسراة : السادة ، والمسرد : المحبوك الحلق الجيد الصنع ، وانظره في الصحاح واللسان (ظنن) ومجاز القرآن ٣٩/١ ، وديوان الحماسة ٣٤٢/١ ، والأضداد ص١٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٦/١ . (٣) التكوير /٢٤ . (٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣/٥ .

(٥) الحجة لأبي علي ٣٨٠/٦ ، ٣٨١ . (٦) الكهف /٦١ . (٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣ .

(٨) النساء /٦٠ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١) : " فأما الإعراب فقال أبو العباس محمد بن يزيد : إن من قرأبالياء (يحسبن) فتح (أن) وكانت تنوب عن الاسم والخبر ، تقول: حسبت أن زيدا منطلق ، ويقبح الكسر مع الياء، يقبح : ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ، بكسر (إن) ، وهو جائز على قبحه ؛ لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي ، فهو يبطل عمله مع (إن) كما يبطل مع اللام ، تقول : حسبت لعبد الله منطلق،وكذلك قد يجوز على بعد: حسبت إن عبد الله منطلق ..."(٢).

وقال في توجيه قوله تعالى :﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾(٣):" موضع (أن) الأولى نصب ، وهي في موضع اسم (حسب) وخبره " (٤) .

سداد (أنَّ) و(أنْ) مسد المفعولين في هذا الباب :

تقدمت أمثلة لذلك هنا ، ومن أمثلته ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ...﴾ (٥) حيث قال : " من قرأ (أن القوة) فموضع (أن) نصب بقوله : (ولو يرى الذين ظلموا ... أن القوة لله جميعا) " (٦) .

حذف أحد المفعولين اختصارا :

ذهب الزجاج إلى جوازه كالجمهور ، وذلك واضح في توجيهه لقوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٧) حيث قال : " القراءة بالتاء على معنى : لا تحسبن يا محمد الكافرين معجزين ، أي : قدر الله محيط بهم ، وقرئت : (لا يحسبن) على حذف المفعول الأول من (يحسبن) على معنى : لا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين في الأرض كما تقول : زيد حسبه قائما ، كأنه قيل : لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين ، وهذا في باب (ظننت) يطرح منه النفس ، تقول : ظننتني أفعل ، ولا يقال : ظننت نفسي أفعل ، ولا يجوز : ضربتني ، استغني عنه بـ(ضربت نفسي) " (٨) .

والقراءة بالتاء هنا هي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وعاصم في غير رواية حفص ، والقراءة بالياء قراءة حمزة وحفص وابن عامر (٩) .

(١) آل عمران /١٧٨ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٩١/١ . (٣) العنكبوت /٢ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٤ ، ١٦٠ . (٥) البقرة /١٦٥ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/١ . (٧) النور /٥٧ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥٢/٤ . (٩) الحجة لأبي علي ٣٣٢/٥ .

وفي توجيه الزجاج هنا ذكر ما اختصت به أفعال هذا الباب من جواز تعدي فعل الفاعل فيها إلى ضمير نفسه .

ومن مواضع إضمار المفعول الأول عند الزجاج أيضا ما جاء في توجيه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] ، فقد أورده برفع (أحياء) وقال : " ولو قرئت : (بل أحياءً عند ربهم) لجاز ، المعنى : بل احسبهم أحياءً " [2] .

وهذا النصب الذي ذكره قراءة غير متواترة تنسب إلى ابن أبي عبلة [3] ، وفي توجيهه له حذف (حسب) ومفعوله الأول ، وقد تبعه فيه الزمخشري [3] .

حكم أفعال هذا الباب من جهة التعليق :

سبق حديث الزجاج عن ذلك هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾[4] ، وقد تحدث عنه أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[5] فقال : " (أنهم) هنا لا يصلح في موضعها (إنهم) بالكسر ؛ لأن الظن واقع ، فلا بد من أن تكون تليه (أن) إلا أن يكون في الخبر لام ، ويصلح في (وأنهم إليه راجعون) الفتح والكسر ، إلا أن الفتح هو الوجه الذي عليه القراءة ، فإذا قلت : وإنهم إليه راجعون ـ في الكلام ـ حملت الكلام على المعنى ، كأنه (وهم إليه راجعون) ودخلت (إن) مؤكدة ، ولولا ذلك لما جاز إبطالك الظن مع اللام إذا قلت : ظننت إنك لعالم " [6] .

وقال في توجيه قوله تعالى :﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾[7]:" وقد قرأ بعض القراء : (ولا يحسبن الذين كفروا) بالياء ، ووجهها ضعيف عند أهل العربية إلا أنها جائزة على أن يكون المعنى : ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ، لأنها في حرف ابن مسعود (أنهم سبقوا) ، فإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك : حسبت أن أقوم ، وحسبت أقوم على حذف (أن) وتكون (أقوم) تنوب عن الاسم والخبر ، كما أنك إذا قلت : ظننت لزيد خير منك فقد نابت الجملة عن اسم الظن وخبره ... " [8] .

---

(١) آل عمران /١٦٩ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٨٨/١ . (٣) الكشاف ٣٨٨/١ .
(٤) آل عمران /١٧٨ . (٥) البقرة /٤٦ . (٦) معاني القرآن وإعرابه ١٢٧/١ .
(٧) الأنفال /٥٩ . (٨) معانيه ٤٢٢/٢ .

وجدير بالذكر أن القراءة بالياء قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم [1] .

على أي المفعولين تدخل (من) الزائدة ؟

أجاب الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾[2] ، وقد أورده بقراءة (نتخذ) بالبناء للفاعل ثم قال : " قرأ أبو جعفر المدني وحده : (قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُتَّخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) بضم النون على ما لم يسم فاعله ، وهذه القراءة عند أكثر النحويين خطأ ؛ لأن (من) إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة أولا ، ولا تدخل على مفعول الحال، تقول : ما اتخذت من أحد وليا ، ولا تقول : ما اتخذت من أحد من ولي ؛ لأن (من) إنما دخلت لأنها تنفي واحدا في معنى جميع ، تقول : ما من أحد قائما ، وما من رجل محبا لما يضره ، ولا يجوز : ما رجل محب ما يضره ، ولا وجه لهذه القراءة ، إلا أن الفراء[3] أجازها على ضعف ، وزعم أنه يجعل (من أولياء) هو الاسم ، وجعل الخبر ما في (نتخذ) كأنه يجعله على القلب ، ولا وجه لهذا عندنا البتة ، ولو جاز هذا لجاز في ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[4] : ما أحد عنه حاجزين ، وهذا خطأ لا وجه له فاعرفه ، فإن معرفة الخطأ فيه أمثل من القراءة ، والقراء كلهم يخالفونه ، وهذا منه غلط، ومن الغلط في قراءة الحسن : (وما تنزلت به الشياطون)[5] " [6] .

قلت : قراءة أبي جعفر التي خطأها الزجاج قرأ بها أيضا جماعة منهم : أبو الدرداء، وزيد بن ثابت ، وأبو رجاء ، ونصر بن علقمة ، وزيد بن علي ، وأخوه الباقر [7] ، وقد نقل الألوسي تخطئة الزجاج لها وقال : " لا يخفى عليك أن في الإقدام على القول بأنها خطأ أو ساقطة مع روايتها عمن سمعت من الأجلة خطرا عظيما ، ومنشأ ذلك الجهل ومفاسده لا تحصى " [8] .

وقد وجهت قراءة أبي جعفر بوجهين :

الأول : ما نقله الزجاج عن الفراء ، وإليه ذهب الزمخشري [9] فذكر أن (نتخذ) من

(١) انظر السبعة ص٣٠٧ ، والحجة لأبي علي ١٥٤/٤ .
(٢) الفرقان /١٨ .
(٣) ينظر معاني القراء ٢٦٤/٢ .
(٤) القلم /٤٧ .
(٥) الشعراء /٢١٠ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٦٠/٤ ، ٦١ .
(٧) انظر روح المعاني ٢٤٩/١٨ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) الكشاف ٢١٣/٣ .

(اتخذ) المتعدي إلى مفعولين ، ومفعوله الأول ضمير المتكلم القائم مقام الفاعل ، والمفعول الثاني (من أولياء) .

والثاني : أن (تتخذ) مما له مفعول واحد ، و(من دونك) صلة ، و(من أولياء) حال ، و(من) زائدة ، ذكره الألوسي .

وقد تقدم الحديث عن قراءة الحسن وحملها على نحو (يبرين) و(فلسطين) أو جعلها مخففة من (الشيّاطين) بتشديد الياء [1] .

إجراء القول مجرى الظن عند بني سليم :

سبق أن ذكر ذلك الزجاج في توجيهه لقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾ ، وذلك في فصل (إن وأخواتها) عند وجوب كسر همزة (إن) [2] .

توجيه نحو (أرأيتك زيدا ما شانه؟) :

تناوله الزجاج في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ ... ﴾ [3] فقال : " وقال النحويون في هذه الكاف التي في (أرأيتكم) غير قول ، قال الفَراء[4] : لفظها لفظ نصب وتأويلها تأويل رفع ، قال : ومثلها الكاف في قوله : دونك زيدا ، قال: الكاف في موضع خفض وتأويلها تأويل الرفع ؛ لأن المعنى : خذ زيدا ، وهذا لم يقله من تقدم من النحويين ، وهو خطأ ؛ لأن قولك : أرأيت زيدا ما شأنه تصير (أرأيت) قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد فيصير لـ(رأيت) اسمان ، فيصير المعنى : أرأيت نفسك زيدا ما حاله ، وهذا محال ، والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها ، وإنما المعنى : أرأيت زيدا ما حاله ، وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب وهي المعتمد عليها في الخطاب .

اعلم أنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب للواحد المذكر : أرأيتَك زيدا ما حاله بفتح التاء والكاف ، وتقول للمؤنث : أرأيتكِ زيدا ما حاله يا امرأة ، وتفتح على أصل خطاب الذكر ، وتكسر الكاف لأنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبينة عن الخطاب ، وتقول للاثنين : أرأيتَكما زيدا ما حاله ، وأرأيتَكم زيدا ما حاله للجماعة فتوحد التاء، فكما وجب أن توحدها في التثنية والجمع وجب أن تذكرها مع المؤنث ،

---

(١) انظر ما سبق ص٣٤. (٢) انظر ما تقدم ص١١٨. (٣) الأنعام/٤٠. (٤) انظر معاني القراء١/٣٣٣.

فإذا سألت النسوة قلت : أرأيتَكن زيدا ما حاله ، وتثنية المؤنث كتثنية المذكر في كل شيء .

فإن عديت الفاعل إلى المفعول في هذا الباب صارت الكاف مفعولة ، تقول : رأيتني عالما بفلان ، فإذا سألت عن هذا الشرط قلت للرجل : أرأيتَك عالما بفلان ، وتقول للاثنين على هذا : أرأيتُماكما عالمين بفلان ، وللجميع : أرأيتُموكم عالمين بفلان ؛ لأن هذا في تأويل : أرأيتم أنفسكم ، وتقول للمرأة : أرأيتِكِ عالمة بفلان بكسر التاء والكاف ، وتقول للاثنتين : أرأيتُماكما عالمتين بفلان ، وللجماعة : أرأيتُكن عالمات بفلان ، فعلى قياس هذين البابين " [1] .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

obeikandl.com